فهزنى الغناء فأقبلت على الرجل يدفعنى الاستطلاع والفضول ويردني الفزع وخشية المجهول ، وأثبته نظرا فاذا شيخ هِمٌّ أبيض اللمة واللحية بأسمال بالية، فلما رآنى وثب مرتاعاً فعل من لم ير إنساناً قط وقذف في وجهي بصرخة هي إلى صراخ الوحش النافر أدنى منها إلي صياح الناس ، وولى هاربا ، فخفته ، ولكنى تجلدت، وتبعته فررت بأرض مزروعه ورأيت عدداً من الشاء نفرن مني لما أبصرنني ، فأدركته عند باب الدار ، فجعلت ألطف به وأكلمه ، وهو ينظر إليّ وقد امحت وحشيته الأولى وصار وجهه كوجه طفل برئ ، وجعل يصغي إلى كلامي ، شارد البصر يحاول أن يتفهم معناه ويردد بعض الكلمات بصوت خافت رهيب، ثم وقع في نفسي أنه مجنون ، أو أنه قد نسي الكلام وكان الليل قد بسط على الدنيا جناحيه ولم يبق لنا بد من المبيت في هذا الوادي ، فعدت ألطف بالشيخ وأكلمه حتى انطلق لسانه فتكلم ...

قال :

... نعم خالفت إرادة السلطان ، وفررت بها إلى هذا الوادي. أليست ابنة عمي؟ أليس الحب يؤلف بين قلبينا ؟

نهممت أن أسأله عنها ، ولكني وجدته لا يعي الكلام وخفت إن أنا سألته أن يفوتني حديث قد لا أسمع مثله أبداً ، فسكت وعاد هو يقول :

لقد عشنا سعيدين لا نرى أحداً ولا يرانا ، نزرع هذه الأرض فنأكل من ثمرها ، ونسوق هذه الماشية فننال من ألبانها ولحومها ، وكنا أسعد الناس ، ولكنها ماتت ، ماتت منذ أربعين سنة فماتت معها نفسي . وهذا هو قبرها ...

وبكى الشيخ فأبكانا ثم قال :

إني أعيش من بعدها بلا حياة ، أنا ميت ، فاقض فيّ ما أنت قاض . خذني إلى السلطان عبد الحميد ليقطع رأسي ، لم يبق لي من الدنيا أرب بعد أن ماتت ... لقد عشت بحبها ، وأموت على حبها وهذا يكفيني ...

ثم قام مسرعا فاختفى بين أدغال الوادي ، وترك لنا بيته وطعامه وشرابه فلبثنا فيه ننتظر الصباح

« بغداد » علي الطنطاوي

التعليم والمتعطلون في مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

خطة الإصلاح الخلقي

والآن وقد كشفنا عن الضعف الخلقي الذي تفشى في شبابنا بسبب إهمال المدرسة للناحية الخلقيه نرى لزاماً علينا أن نرسم للمدرسة خطتها التي نعتقد أنها إذا سارت عليها أمكنها أن تصلح من شأن أبنائها . ولسنا ندعي العصمة من الخطأ في ذلك ولكن هذه الخطة هي التي هدانا إليها اجتهادنا وتفكيرنا .

فعلى المدرسة أن تخصص مدرساً لكل عدد من التلاميذ لا يزيدون على العشرين يراقبهم ويدرس أحوالهم ، ويكون لكل واحدمنهم سجل خاص يدون فيه جميع المعلومات الصحية والخلقية والعلمية المتعلقة به وتحتفظ المدرسة بهذا السجل منذ بداية التحاق التلميذ بها . وعلى هذا المدرس أن يكون مركز الاتصال بين مدرسي هذا التلميذ الآخرين وإدارة المدرسة من جهة ، وبين ذويه وأهله من جهة أخرى ليتعرف كل شيء عنه ، وليتعاونوا جميعاً في أمره وفي تنظيم حياته وفي ترقية حاله وفي إصلاح معوجه كلما لوحظ فيه انحراف عن الصراط المستقيم . وإنا نرى أن التعاون في ذلك بين المدرسة والمنزل من المسائل الجوهرية التي تقي التلميذ شر الشطط والانحراف عن جادة الحق بما يفرض عليه من رقابة شديدة ساهرة تقدم له المساعدة التي يتطلبها ، وتبذل لذويه الارشاد اللازم لصون صحته وأخلاقه ، وتشرف على تنظيم أوقات فراغه وسيره في سبيل التقدم المطرد والنجاح المضمون ، فيسير نحو الرجولة المنشودة . وهو فوق ذلك أمر يلزم ذويه بالعناية به والاهتمام الدائم بأمره وملاحظته والسهر على تقويمه . وبالرغم مما يلقيه هذا الواجب الجديد الثقيل على المدرس من عبء ومجهود متعب فانه يخفف عن المدرسة كثيراً من أعبائها وإجراءاتها الصورية المتعبة غير المثمرة التي تقوم بها مثلا في حالة تغيب التلميذ أو مرضه أو تأخره أو رسوبه الخ ..

وفوق هذا فاننا نعلم أن كثيراً من التلاميذ الذين يتعلمون بالمدارس الابتدائية والثانوية يضطرون بحكم بعد المدرسة عن منازلهم أن يقطنوا وحدهم فى مساكن كثيراً ما تكون قذرة وغيرلائقة لعدم وجود من يعنى بأمرهم . وليس هناك من يشرف على أحوالهم المعيشية ، أو يرقب عن كثب أحوالهم الخلقية ليرشدهم إذا أخطأوا ، ويردهم عن غيهم إذا حادوا عن الصراط المستقيم ؛ وفى هذا إفساد لكثير من الشبان من الوجهتين الصحية والخلقية . وإن فى وجود هذا المدرس المشرف لضماناً كبيراً يحول دون ذلك لأن فى إمكانه أن يفحص أحوال تلاميذه خصوصاً منهم من لايعيشون تحت رقابة أهليهم . ويصح أن يجمع عدداً من التقاريرين فى أحوالهم المالية والمعيشية فيساعدهم على سكنى منزل واحد وعلى إيجاد خادم يقوم بخدمتهم فينظم بذلك حالتهم المعيشية ، ويشرف إشرافاً تاماً على تكوينهم الخلقى . فلو أن المدرسة عنيت بهذا الأمر حق العناية وحققت هذه الرقابة الدائمة على تلاميذها لخدمت الأخلاق والفضيلة والقومية المصرية خدمة كبرى ، ولأدى هذا العمل إلى رفع المستوى الخلقى والقومى إلى حد كبير ، ينهض بمصر نهضة قوية ، ويضعها فى مصاف البلاد العظيمة . وللنجاح فى ذلك شرط أساسى يتلخص فى أن يعمل المدرسون هذا العمل الجليل عن طيب خاطر وأن يعتبروه خدمة وطنية عظيمة تقدرها البلاد قدرها . ولا بد لهؤلاء المشرفين من أن يخفف عنهم عبء العمل المضنى فى نواح أخرى

ثم إن على المدرسة فوق ذلك أن تعنى عناية تامة بالرياضة البدنية المصحوبة باجراء تدريبات عسكرية نظامية مستمرة . وعليها أن تدرب أبناءها جميعاً على المخاطرات واقتحام العوائق وتذليل الصعاب كالفروسية وغيرها كالسباحة والتجديف وركوب الخيل وأنواع المهارة الرياضية . وعليها أن تشعر الطالب بأن الألعاب الرياضية والتدريب العسكرى وأسفار الفروسية من ضروريات الحياة التى يجب على كل واحد أن يأخذ منها بقسط وليست زينة تبرزها المدرسة فى حفلاتها الرياضية السنوية فحسب لتباهى بها أترابها ولتتظهر بها على غيرها ، فاذا انتهت أيامها ماتت الرياضة بالمدرسة حتى تبعثها بعد عام أو عامين فكرة إقامة حفلة أخرى كما هو واقع اليوم، فكل تلميذ يجب أن يقدم على الألعاب الرياضية ويمارسها كل يوم ممارسته لغيرها من الأعمال المدرسية الأخرى . والواجب أن تخصص المدرسة نصف ساعة على الأقل يومياً للتدريب والتمرين الشخصى وأن تكون صفاً عسكرياً نظامياً عاماً يومياً، ويجب أن يخصص للتدريب العسكرى فوق ذلك جزء من العام فى شهر يناير كأسبوعين أو ثلاثة بصفة خاصة

وليس الغرض من ذلك تقوية الجسم واعتدال الصحة فحسب، بل هناك فوق ذلك غاية أخرى لا تقل أهمية عن هذه وهى تكوين الخلق القويم بتعويد الطالب مغالبة الصعاب والاحتمال والصبر وحب النظام واحترامه وإطاعته وحب التضامن والتعاون مع غيره من أترابه وإخوانه . وهذه كلها أمور تتطلبها الحياة الاجتماعية اليوم وتدعو إليها النهضة القومية . ويعقب ذلك مباشرة الاهتمام بمسائل الرحلات والاكثار منها فلا يصح أن ينقضى أسبوع من غير أن تقوم المدرسة برحلة رياضية فى الهواء أو فى الصحراء أو فى النهر أو البحر أو فى الحقول الخضراء اليانعة ، حيث يدرس التلاميذ بطريق غير مباشر طرق المواصلات وطبيعة الجهة صحراوية أو إقليمية أو بحرية وما يجرى فوق سطح البحر أو تحته مما ينتفع به الناس . هذا إلى الرحلات العلمية التى يجب أن يقوموا بها لدراسة طبيعة البيئة المحيطة بهم ، وما يجرى فيها من صناعات وتجارات وزراعات . فالواجب على المدرسة أن تجعل من نفسها قبسة من الحياة الاجتماعية العامة المحيطة بها ، وعلى المدرسة كذلك أن توجه عنايتها إلى خلق المشروعات الاقتصادية والخيرية بين جدرانها . وإن فى قيام التلاميذ بحركة مقصف داخلى بها حيث يقوم بعضهم بشراء مستلزماته وبيعها وإيجاد سجلات لذلك وتدوينها ، كما أن فى قيامهم بصنع بعض الأدوات المنزلية البسيطة من الخيزران والجلد والقش الخ وبيعها فى أسواق خيرية بقيمونها — لعملاً نافعاً يستحق الاهتمام والتشجيع .

وناديك بما يمكن أن يقوموا به فوق ذلك من أعمال البر والاحسان إلى اليتامى والفقراء والمساكين مما يبعث فى نفوسهم الشفقة والرحمة . وهو أمر نادر الوجود بالمدرسة المصرية اليوم بينما نجده عملا ضرورياً فى كل مدرسة أجنبية . وعلى الأخص فى مدارس البنات إذ يغرسون فى قلب البنت العواطف الكريمة: عواطف الرحمة بالضعيف والشفقة على المسكين ، والبر بالعاجز

واليتيم. وإن من أوجب الواجبات إدخال هذا النظام سريعاً والعمل به لما يخلفه من جو كريم ملؤه العطف والحنان ولما يربيه فى الصغار من حب البذل والجود فى سبيل الخير. وكثيراً ما سمعنا عن مدارس أجنبية بين ظهرانينا تقوم بعمل الكسى وتوزيعها هى والحلوى فى أيام الأعياد على الفقراء والمساكين. وإذا كانت المدرسة المصرية قد استحدثت فى سنيها الأخيرة نظام توزيع الجوائز على المتفوقين علمياً من أبنائها فجدير بها أن تخص المبرزين من تلاميذها فى كرم الخلق والحدب على الضعيف والعطف على البائس المسكين. وأن تخص أقوم التلاميذ أخلاقاً وأكثرهم رجولة. جدير بها أن تخص هؤلاء أيضاً بالتشجيع وأن تمنحهم الجوائز والمنح تشجيعاً لذوى الأخلاق الفاضلة وتنبيهاً لغيرهم إلى ما تستحقه تلك الأخلاق من تكريم وتقدير. وليكن لنا فى قرين الملكة فكتوريا أسوة حسنة. فلقد كان رجلاً طيب القلب، طاهر الفؤاد، يقدر الأخلاق الكريمة حق قدرها فكان كلما قرر مكافأة سنوية لمعهد من المعاهد جعلها لأرقى الطلبة خلقاً، ولمن يؤمل فيه أن يكون رجلاً كبير القلب طاهر الفؤاد عظيم الشمائل، ولم يكن يجعلها لأذكى الطلبة أو أنبههم أو أكثرهم مدارسة للكتب، أو أنبغهم فى العلوم

ثم إن على المدرسة بعد هذا وذاك أن تحبب أبناءها فى القراءة ومدارسة الكتب وتذوق ما فى بطونها. وعليها أن تتخير لهم الكتب المناسبة لعقولهم فتكثر للأطفال من القصص الصغيرة المليئة بحوادث التضحية والبطولة وأبطال الرجال وقادتهم، وأن تضمنها ما كان لعظيم أخلاقهم من سر فى بطولتهم. فلكم يحلو للطفل أن يحدثه أستاذه أو كتيبه عن بعض المواقف العظيمة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، أو عمر بن الخطاب، أو عمر بن عبد العزيز. وكم يحلو له أن يقرأ شيئاً عن مصطفى كامل أو سعد زغلول، أو جان دارك، أو غاندى، أو غيرهم من الأبطال المليئة حياتهم بالنوادر والقصص اللطيفة التى تحفز الطفل إلى التقليد والنسج على ذلك المنوال فيشب معجباً بأعمال البطولة النادرة ويتمنى فى نفسه دائماً لو أتيح له أن يكون كواحد من هؤلاء الأبطال. ولا شك أن هذا يدفعه فى شبابه بل طول حياته إلى الأعمال العظيمة، كما أنه يحول بينه وبين كل رذيلة أو عمل حقير. وفى المدرسة الثانوية يجب أن يكون فى صلب جدولها درسان على الأقل أسبوعياً للمكتبة لكل طالب يكلف فيها تحت إشراف مدرسه بدراسة تاريخ حياة بطل من الأبطال ليكتب عنه ويحاضر فيه إخوانه ويسمر معهم متحدثاً عن سيرة بطله وأعماله ونوادره وأحواله. وفى بطون التاريخ كثير من الأبطال السياسيين وغير السياسيين من المستكشفين والمخترعين وجبارة العقول والفلاسفة. ولا شك فى أن متابعة سير هؤلاء ومدارسة أحوالهم من أشهى وألذ ما يخاطب به عقل فتى تستهويه البطولة والعبقرية، كما أنى لا أشك فى أمنية كل شاب أن يصير بطلا كأولئك الأبطال مما يحفزه فى أن يسير سيرتهم وينهج نهجهم. بهذا العمل لا نكون قد حققنا غرضاً واحداً، بل عدة أغراض، إذ نعود الطالب الاعتماد على نفسه فى البحث والدرس كما نعوده تذوق القراءة والمطالعة واعتيادها، وحصر أوقات فراغه فيها، ونغرس فيه فوق ذلك حب البطولة وتقديرها والسعى المتواصل إليها. وياحبذا لو عملت المدرسة من ناحية أخرى على تحبيب تلاميذها فى الفنون الجميلة من موسيقى وتصوير وشعر، وذلك بأن يدرس المشرف صاحب سجل التلميذ ميول التلميذ منذ بدء اتصاله بالمدرسة واتجاهه، ثم يحاول أن يقوى فيه تلك الميول حتى يتجه به إلى أحد هذه الفنون فيسير فى تعلمها لأنها لا تربى فى الانسان الذوق السليم فحسب، ولكنها تصرف الشاب عن الاتجاهات الفاسدة وتجعله يعرف كيف يقضى أوقات فراغه فى هوينه التى جذبته إليها من غير أن يتأثر بقرناء السوء أو يفكر فى غير اللهو البرئ لا اللهو الفاسد الذى يجر كثيراً من الشبان إلى الدمار والهلاك

إذا قامت المدرسة بكل ذلك، ولن تقوم به إلا إذا تخلصت من قيودها الحالية، فانها تكون قد حققت الغرض الأسمى من وجودها لأنها أحاطت أبناءها بسياج متين من الأخلاق الفاضلة وأعدتهم إعداداً حسناً للكفاح الدائم، والنضال المستمر المنتج فى الحياة، ذلكم الكفاح والنضال اللذين يكونان الرجال ذوى العقول المثقفة والضمائر الحية، والأخلاق الطاهرة القويمة، مما يكفل لهم النجاح فى أعمالهم والنهوض بأممهم. وليس للأمة عدة تتكئ عليها فى هذا السبيل غير المعلمين الأكفاء الأمناء الذين يقدرون واجبهم تمام التقدير ويسهرون على أداته خير أداء تعاونهم فى ذلك الأسرات المثقفات العارفات بطرق تنشئة الأطفال على الفضيلة وقيادتهم قيادة صحيحة إلى الحياة الفاضلة السامية. ولن يتوج هذا النجاح